الدرس8:التداولية والظواهر البيانية ،الأبعاد التداولية للكناية.

تمهـــيد

تتمثل العلاقات الموجودة بين حقلين معرفيين مهمين هما: حقل البلاغة العربية والتداوليات، وتركز على إبراز نقاط الالتقاء التي تثبت الحياة الممتدة للتراث العربي ممثلا في البلاغة، وخاصة الجانب البياني الذي تندرج تحته الكناية التي تعتبر من الوسائل التعبيرية المرتبطة بالتداولية تنظيرا وممارسة.

أوّلا: تعريف الكناية

لغة: الكِناية لُغةً من الفعل **(كنى)**، و"كنيتُ بشيء عن شيء" أي؛ تركت التّصريح به.

اصطلاحًا :عند أهل البلاغة هي لفظ أُطلق به على شيء أُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، ومِثال ذلك قول شخص: **(والدي نظيفُ اليد)**، وكلمة **(نظيف)** في معناها الحقيقيّ هنا هو **"الطهارة، وغير المُلوّث"**، ولكنْ قد يقصد قائل الجُملة بهذه العِبارة أنّ الشّخص **"عفيف، وأمين، ونزيه،** .."، وهذا ما يجعل الكِناية تحمل معنييْن؛ الأوّل ظاهر ومُلازم للكلمة، والآخر معنى باطن يقصده القائل، والجدير بالذِّكر **أنّ الكِناية من الأساليب البلاغيّة في اللّغة العربيّة،** وفي استخدامها إضفاء على النّص فصاحة وبلاغة أكثر؛ لأنّها أكثر تأثيرًا في نفس القارئ من التّصريح والإفصاح بمعنى مقصود بشكل مباشر."1

فهي أحد فنون البلاغة المميزة، حيث إن الكناية هي أحد الأوصاف الجمالية، التي تعمل على تحسين المعنى وتوضيحه من خلال التعبير عنها بصفة أخرين ولكنها شديدة الوضوح والصلة بالصفة الأصلية، **ولا سيما أن للكناية أهمية كبيرة، والتي تتمثل في:**

*تعرف الكناية بأنها أحد أساليب البلاغة في اللغة العربية، ولا سيما أن البلاغة تندرج تحت علم البيان، كما إنها تختص بالأسلوب القوي في الوصف.

*تضفي الكناية قوة للجملة والبيت والتعبير.

*تعمل الكناية على تقديم الحقائق بشكل جمالي دون تشويه للنص.

*يمكن من خلالها إخفاء المعاني السيئة، مع إمكانية التعبير عنها دون مشكلة في ذلكن حيث هناك كنايات تبرز المعاني اكثر من المعاني الحقيقية للجمل.

*تعرف الكناية بكونها تختص بالمعنى إيراده في النص دون ذكره.

*تعمل الكناية على إضفاء الحس الحركي للنص كما تزيد النص حيوية وجمال.

*ترد الكناية مثبته من ناحية التصديق في نفس المخاطب.

*تهتم الكناية باللفظ الواحد، وتغني عن الكثير من الكلمات، مما يزيد النص قوة.

ثانيا: خصائص الكناية

خصائص الكناية

هناك مجموعة من خصائص الكناية والتي تتمثل في:

1. **مهارة الوصف:** يكمن سر جمال الكناية، في كونها خير معبر وواصف للأمر، حيث يستشرها القارئ ويفهمها ويستوعب وصفها من خلال ذكاء الكاتب ومهارته في الوصف.
2. **الإيجاز**: يقصد بالإيجاز ان المعنى يرد من خلال التدليل عليه أو الإشارة له، مما يؤدي لاختصار عدد الكلمات دون شرح كثير وتوضيح.
3. **القوة:** يقصد بالقوة أن يرد المعنى مع الامر الذي يتعلق به، وورود هذا الملفوظ أو المكتوب اقوى كثيراً من الشيء وحده، مثل قول أحمد أشد في قوته، تشبيه أحمد بالأسد كناية عن القوة والصلابة.
4. **التحسين البلاغي:** ويقصد بالتحسين البلاغي، توضيح المعنى من خلال استخدام المحسن البديعي وبلاغته من خلال الألفاظ المستخدمة في الجملة.
5. **التهذيب:** ويقصد بالتهذيب تهذيب الكلمات والجمل، حيث لا يستطيع الكاتب دوماً التصريح عن كافة الأمور، حيث يبتعد الكتاب دوماً عن استخدام الألفاظ القبيحة، والكلمات السيئة، ويجب احترام القارئ، لذا فالكناية كافية ووافية في التعبير عن الكثير من الأمور.
6. **التعظيم والقضاء على الابتذال:** حيث تستخدم الكناية أحياناً لتعظيم شأن المتحدث عنهن كقول الصديق كناية عن سيدنا يوصف، أو أبو الأنبياء على سيدنا إبراهيم رضى الله عنهما.
7. **التخصيص:** حيث يمكن من خلال الكناية تخصيص الفعل نفسه، حيث انتقال المعنى من إطاره العام إلى التخصيص، كقول مريم خارقة، فالتخصيص يأتي مريم خارقة الذكاء، فهنا جاء التخصيص في الذكاء.

ثالثا: أنواع الكناية

هناك ثلاثة أنواع للكناية وهم الكناية عن الصفة والكناية عن النسبة والكناية عن الموصوف.

1-**الكناية عن الصفة :**وهي الكناية التي تدل على صفة تلازم المعنى المخفي في الجملة مثل (الصدق والأمانة والاحترام والتقدير، إلخ)اي ذكر العنصر الموصوف مع صفة ما ولكنها ليست المقصودة، وإنما المقصود صفة أخرى تُفهم من معنى الجملة.

مثال –:ألقى الجندي سلاحه :المعنى الظاهر هو إلقاء السلاح، بينما المعنى الخفي أو الصفة المقصودة هي الاستسلام.

–قول الله تعالى ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط)) : المعنى الظاهر لتعبير يدك مغلولة إلى عنقك هو إحكام قبضة اليد حول العنق بينما المعنى الخفي أو الصفة المقصودة هي صفة البخل، كذلك تعبير تبسطها كل البسط : فيأتي المعنى الظاهر هو فتح اليدين ولكن المعنى الخفي لها أو الصفة المقصودة هي صفة التبذير.

2-**كناية عن النسبة** : وهي الكناية التي تشير إلى الموصوف وصفته ولكنها لا تنسب إليه مباشرة، بل لشيء يدل عليه أو يرتبط به كالنسبة إلى حسن الخلق أو فصاحة اللسان. ويمكن تعريفها أيضًا بأنها هي الكناية التي يصرح فيها بالصفة ولكنها تنسب إلى شيء متصل بالموصوف (الفصاحة، البلاغة، الخير) حيث نأتي فيها بصفة لا تنسب إلى الموصوف مباشرة بل تنسب إلى شيء متصل به ويعود عليه.

مثال: –الفصاحة في بيانه والبلاغة في لسانه :وهي كناية عن نسبة هذا الشخص إلى الفصاحة لأنها موجوده في كلامه وإلى البلاغة لأنها تظهر في لسانه.

–قول المتنبي " وأسمعت كلماتي من به صمم : " ويأتي المعنى الظاهر لبيت الشعر بأن الأصم يمكنه سماع شعر المتنبي، ولكن نرى أن المعنى الخفي هو مدح المتنبي لشعره نسبة إلى سماع الأصم له.

3-**كناية عن الموصوف** : وهي الكناية التي تذكر الصفة ولا تذكر الموصوف، أي تشير إليه باستخدام شيء خاص فيه كلقب أو تركيب معين. ويمكن تعريفها أيضًا بأنها هي التي يُكنى بها عن ذات أو موصوف (اللغة، السفينة) وهي تُفهم من العمل أو الصفة أو اللقب الذي انفرد به الموصوف.

مثال: –قول الله تعالى ((**فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت**)) وهذه الآية كناية عن سيدنا يونس لأنه يُلقب بصاحب الحوت.

–يا ابنة اليم ما أبوك بخيلًا :وابنة اليم هو تعبير يُكنى به عن السفينة.

رابعا: الكِناية باعتبار اللّوازم (الوسائط) والسّياق

1-التّعريض: هو الكِناية التي يُقال فيها كلام يُشار فيه إلى معنى آخر يُفهم من خلال الموقف والسّياق، ومِثاله قول أحدهم لشخصٍ كاذب: "ما أقبح الكذب!"، أو لشخص بخيل: "بئس البُخل"، وقد قِيل أنّ التّعريض بالكلام لا يصلح إلّا بالذّم.

2-التّلويح: هو نوع من الكنايات التي يكثر فيها الوسائط، فيكون هناك فاصل بين المعنى المكْنيّ عنه والمعنى الحرفيّ كبير، مع ذلك العلاقات سهلة بينها، وهذا ما جعله يُسمّى بالتّلويح؛ أي بالإشارة من بعيد، ومِثاله جملة (إنّي مهزول الفصيل)، فالفصيلُ هُنا (ابن النّاقة) ولا يكون هزيلًا إلّا إذا لم يتمّ إرضاعه جيّدًا من قِبل أُمّه، وهي لا تفعل ذلك؛ لغيابها عنه غيابًا أبديًّا، وهذا لا يحدث إلّا إذا نحرها صاحبها لضيوفه، فتُصبح الجملة هُنا كناية عن كرم الشّخص بعد عِدّة انتقالات بين المعاني للوصول إلى المقصود.

3-الإيماء والإشارة: هي كناية وسطيّة بين التّلويح والرّمز؛ بحيث الوسائط قليلة للوصول للمعنى المقصود، مع وضوح نسبيّ بين المعنى الحرفيّ والمُراد، ومِثاله جملة (النّاقة تخشى زيارة أسيد)، التي فيها إشارة إلى كرم أسيد؛ لأنّه سيقوم بنحر النّاقة لضيوفه.

4-الرّمز: هي كناية خفيفة الوسائط بين المعنى الحرفيّ والمقصود؛ بحيث يكون خفاء المعنى نسبيّ فيها، ومِثاله قول: (فُلان عريض الوسادة)، ففي الجملة إشارة إلى كونه شخصًا أبله؛ وسبب ذلك أنّ العرب كانت ترى أنّ كبر رأس الإنسان وطول عنقه علامة بلاهة.

تطبيق1

ميّز/ي الكِنايات في الجُمل الآتية، مع ذِكر القسم الذي تنتمي إليه.

ألقى سامرٌ سلاحه. هي نقيّة الثّوب. زوجته نؤوم الضّحى. لمَ أنت حارسٌ على مالِك كثيرًا. أنت رسول الشّر بين أقرانك. النّاطقين بالضّاد أسبقُ في الخير. زُرتُ طيبة العام الماضي.

تطبيق2: ميّز/ي الكنايات في الجمل الآتية من حيث اللّوازم.

قول أحدهم لشخص متكبّر: "ما أجمل التّواضع."! إنّي جبان الكلب. فُلان غليظ الكبد.

تطبيق3: اختر الجملة مع الكِناية المُناسبة لها فيما يلي:

خالد خفيف الظّل.	ب. كِناية عن الحرج والخجل.
3 .عاتبته فاحمرّ وجهه.	ج. كِناية عن اللّغة العربيّة.
4 .حلّاقك خفيف اليد.	د. كِناية عن النّدم.
5 .لغة الضّاد لغة القرآن.	هـ. كِناية عن اللّطافة، والمرح.
6 .شكوت الحاكم قِلة الفئران في بيتنا.	و. كِناية عن مدينة بغداد.
7 .دارُ السّلام عاصمة العراق.	ي. كِناية عن الفقر الشّديد.
8 .سعيدٌ لا يضع العصا على عاتقه.	ز. كِناية عن الشّهرة.
9 .يُشار إلى مُعلِّمي بالبنان.	ح. كِناية عن السّفر الكثير.
10 .رغوة الشّباب باتتْ تظهر في شَعري.	ط. كِناية عن الشّيب.
11 .مالَكَ تُبدِّل في الهواء؟	ي. كِناية عن الخوف.
12 .رأيتُ أختي مخلوعٌ فؤادها.	ك. كِناية عن التّكبر.
13 .سارة بعيدة مهوى القرط.	ل. كِناية عن الجمال.

تطبيق 4: كوّن كنايات عن المعاني الآتية:

مثال:كناية عن النّدم. الجملة: قلّب كفّيْه على ما أضاعه من الوقت.

السّعادة. البُخل. الخوف. الشجاعة. التّردّد. الغيوم. القدس.

الهوامش

1. عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص: 203. بتصرّف.